ISSN : 2335-1071 ردمد:

مخبر الخطاب الحجاجي
أصوله ومرجعياته وآفاقه في الجزائر
جامعة ابن خلدون -تيارت

فصل الخطاب

ملف العدد:

- البيان الحجاجي وأساليبه في القرآن الكريم
- البيان القرآني في منظور بديع الزمان سعيد النُّورسي
- البناء البلاغي في تشكيل الصورة عند ابن المعتز
- آلية الحوار العلمي بين الكاتب والقارئ في كتب النحو التراثية
- بلاغة الصحراء وفاعلية التجسيم الاستعاري

سبتمبر 2015

العدد 11
المجلد الثالث

دورية أكاديمية محكمة تعنى بالدراسات والبحوث العلمية النقدية واللغوية والأدبية والبلاغية باللغتين العربية والأجنبية

فصل الخطاب
العدد الحادي عشر سبتمبر 2015
Revue n°11 Septembre 2015
Faslo El-Khitab

ISSN: 2335-1071

Laboratoire du discours argumentatif
ses origines, ses références ses perspective en Algérie
Université Ibn-Khaldoun-Tiaret

Faslo El-Khitab

(Art d'Argumenter)

Septembre 2015

Revue périodique a vocation scientifique, traitant des domaines de la critique littéraire, la languistique et la rhétorique en langues arabe et étranger

Revue N 11
Volume 03

فصل الخطاب

دورية أكاديمية محكمة يصدرها مخبر الخطاب الحجاجي أصوله ومرجعياته وأفاقه في الجزائر
تعنى بالدراسات والبحوث العلمية النقدية واللغوية والأدبية والبلاغية باللغتين العربية والفرنسية

العدد الحادي عشر

سبتمبر 2015

ردمد ISSN 2335-1071

رقم الإيداع القانوني 1759 - 2012

جامعة ابن خلدون - تيارت
الجزائر

توجه المراسلات إلى إدارة المخبر أو المجلة
ص.ب. 78 زعرورة _ تيارت 14000 _ الجزائر
أو عبر: faslkhitab@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

قواعد النشر بالمجلة

1. تهتم المجلة بنشر كل الأبحاث التي تعالج قضايا في حقل الحجاج والنقد الأدبي والبلاغتين القديمة والجديدة وما يدور في حقل اللغويات وله علاقة بهذه المواضيع . كما يمكن أن تنشر المجلة نقدا متخصصا أو مراجعة أو ترجمة لأحدث المدونات العلمية الصادرة باللغة العربية أو اللسان الأعجمي.

2. لغة النشر عربية، فرنسية، إنجليزية، على أن يصحب البحث بملخصين مجتمعين في صفحة، أحدهما باللغة العربية والآخر إما باللغة الفرنسية أو الإنجليزية.

3. ألا يكون المقال قد سبق نشره أو قدم للنشر في أي إصدار آخر .

4. يقدم المقال المكتوب بالعربية بخط **(Traditional Arabic)** قياس 14 في المتن و11 في الهامش، أما المكتوب بالأجنبية بخط **Times New Roman** قياس 12 في المتن و10 في الهامش وكلاهما بمسافة 1 سم بين الأسطر وهوامش 4 سم (من الجهات أربع)، وألا يتجاوز البحث عشرين (20) صفحة بما في ذلك الإحالات، التي يشترط أن تكون إلكترونية، أما الجداول والترسيمات والأشكال فتكون صورا **IMAGE** .

5. بعد موافقة اللجنة الاستشارية المؤهلة للخبرة العلمية على الأعمال والبحوث، تعرض على محكمين اثنين من ذوي الاختصاص يتم اختيارهما بسرية مطلقة. وتحتفظ المجلة بحقها في أن تطلب من صاحب المقال التعديل بما يتناسب ووجهة نظرها في النشر .

6. لا تعبر البحوث المنشورة بالضرورة عن رأي المخبر، والمجلة غير مسؤولة عما ينتج عن أي بحث، والدراسات والبحوث التي ترِد المجلة لا تُردّ إلى لأصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

7. ترتيب المقالات في المجلة يخضع للتصفيف الفني وليس لاعتبارات أخرى كمكانة الكاتب أو شهرته أو غير ذلك.

رئيس المجلة	المدير المسؤول عن النشر
أ.د. مدربل خلادي	أ. د. زروقي عبد القادر
مدير جامعة ابن خلدون ـ تيارت	مدير مخبر الخطاب الحجاجي

رئيس التحرير : أ. د. بوزيان أحمد

هيئة التحرير

د. داود امحمد	د. بن يمينة رشيد
د. درويش أحمد	د. بوعرعارة محمد
د. قادة عدة	د. بن فريحة جيلالي
د. كراش بخولة	د. مكيكة محمد جواد
د. بوشريحة إبراهيم	د.عزوز الميلود

الهيئة العلمية الاستشارية

أ.د. بوهادي عابد ـ جامعة تيارت	أ.د. فيدوح عبد القادر ـ البحرين
أ.د. بن جامعة الطيب ـ جامعة تيارت	أ.د. خلف الجردات ـ المملكة الأردنية
أ.د. العشي عبد الله ـ جامعة باتنة	أ.د. بوحسن أحمد ـ المغرب
أ.د. حسن نعمي ـ المملكة العربية السعودية	أ.د. عباس محمد ـ جامعة تلمسان
أ.د. بشير بويجرة محمد ـ جامعة وهران	أ.د. توفيق بن عامر ـ تونس
أ.د. مرتاض عبد الجليل ـ جامعة تلمسان	أ.د. اسطمبول الناصر ـ جامعة وهران
أ.د. حسن البنداري ـ عين شمس ـ القاهرة	أ.د. خميسي حميدي ـ جامعة الجزائر
أ.د. دراوش مصطفى ـ جامعة تيزي وزو	د. عباس محمد ـ جامعة سعيدة

الفهـــــرس

كلمة رئيس التحرير.....05

البيان القرآني في منظور بديع الزمان سعيد النورسي(بطاهر بن عيسى).....07

البيان الحجاجي وأساليبه في القرآن الكريم(شريفي عبد الصمد).....23

البعد التداوليّ للوظيفة القصدية في الخطاب الغزليّ لعلية بنت المهدي معالجة وإجراء

(عامر صلال راهي الحسناوي).....35

البناء البلاغي في تشكيل الصورة عند ابن المعتز

التحول من النظر المجرد إلى الواقع الملموس(عثماني عمار).....55

آلية الحوار العلمي بين الكاتب والقارئ في كتب النحو التراثية لخضر(قطاوي قدور).....71

بلاغة الصحراء وفاعلية التجسيم الاستعاري قراءة في رواية " التبر " لإبراهيم الكوني

(شول فاطمة الزهراء).....79

الأثر النفسي لأسلوب التكرار في شعر العباس بن الأحنف(عبد الله بيرم يونس).....91

الآمدي بداية النقد المنهجي عند العرب(عادل بوديار).....109

الفلاسفة المسلمون ونقد النص الشعري(بوهني بن عيسى).....115

الوضوح والغموض في الخطاب من منظور أصولي(درقاوي مختار).....123

اختلاف المفسرين في الدلالات التصريفية(عادل مقراني).....137

التأويل بالحذف في أضواء البيان عند الشيخ الشنقيطي(بوعمامة نجادي).....151

صوتيات التصريف وأثرها في ائتلاف المباني واختلاف المعاني(رفاس سميرة).....161

قواميس قديمة، قواميس حديثة تمثيل اللغة والخطاب(محمد بسناسي).....171

أسلوبية الاستفهام في النص الشعري الجاهلي، النص الهذلي، أنموذجا(الأحمر الحاج).....183

سيميائية الألوان في شعر محمود درويش(ربيع موازي).....191

تجليات الخطاب الإبداعي في التجربة الشعرية الحديثة(بلقاسم دكدوك).....203

منهجية محمد مصايف في نقد الفن المسرحي الدكتور(تاج محمد).....211

حركية السرد في رواية " النبر " لإبراهيم الكوني،

دراسة في المشهد السردي وتوزيعه(عكازي شريف).....219

كلمة رئيس التحرير

بسم الله الرحمن الرحيم

أمّا قبل:...

في عددها الحادي عشر تصدر مجلة فصل الخطاب وهي تصارع حزما من المعوقات، ما إن تتخطى واحدة حتى تتبدى أخرُ متوالدة، متناسلة ومتكاثرة، وكأنها لا تريد أن تنتهي. ولكن بفضل عزيمة طاقمها الخفي، وجهود رجالها الذين يأبون إلاّ أن يتواروا في الظل، لأنهم يفضلون الخفاء على الجلاء، والضمور على الظهور، فبفضل هؤلاء ها هي أعداد مجلة فصل الخطاب تتوالى في حلة قشيبة نتمنى- مخلصين - أن تظهر بأكثر مما هي عليه الآن، ولكن كما قيل ما لا يدرك كله لا يترك جزؤه.

حاولنا أن نصفف مقالات هذا العدد – على كثرة ما يصلنا منها بعد القراءة والتحكيم السري - وفق منظور ما هو متداول، من الأعراف الأكاديمية . ثمة مقاربات تحاول رصد الاطار المعرفي في أصوله وجذوره الإبستيمية ،حيث كشفت هذه المقاربة الإبستيمية كيف تشكلت هذه المفاهيم في حراكها وتحولها، الأمر الذي أدى إلى تنوعها، وكانت الثورة المعرفية بظهور اللسانيات وما تلا ذلك من تطورات منهجية ونقدية، امتدت لتشمل حقولا أخرى تبدو بعيدة عن حقول اللغة في المفهوم التقليدي لعلوم اللسانيات، وبذلك جعلت من تحليل الخطاب عمدة أساسية لفهم وتحليل ومناقشة النصوص والقضايا والأفكار المطروحة، وفق ما تمليه حدود ميكانيزمات التلقي والتأويل، والتفكيك والتركيب، ضمن آفاق الحوار والتواصل.

وقد تطور اهتمام النقد المعرفي بموضوع التواصل عموماً، واللغة الإنسانية تحديداً. والحجاج تخصيصا. وتأتي اللسانيات هذا العلم المستجد، في طليعة العلوم التي نزعت إلى تحديد معاصر وعلمي لمفهوم اللغة من خلال دراستها "في ذاتها ولذاتها" وبغضّ النظر عن أية علوم أخرى؛ وسعت لاستجلاء مختلف وظائفها في تشجيع الفهم المتبادل، ونقل التجارب الإنسانية والتعبير عن الفكر، أيّا ما كان هذا الفكر.

لذلك تسعى مجلة فصل الخطاب جاهدة إلى أن تقارب – من خلال مقالات السادة الباحثين - هذا الاضطراب المفهومي في الفكر العربي المعاصر. كما تسعى إلى أن الوعي بهذا الإشكال هو بالأساس عملية فكرية أكثر مِمَّا هي مسألة تتعلق بمعرفة حدود المفهوم نفسه. بمعنى آخر يرجع هذا الاضطراب إلى أنه مسألة (أكاديمية) بحتة تتعلق بمعرفة بيانات المفهوم ومحدّداته بقدر ما يرتّد إلى عمليةٍ فكريةٍ معقّدةٍ، ومشروطة بالضرورة تاريخياً ومعرفياً. أي بما تنتجه هذه المعرفة التي تأطرت في غياب وعينا ذاته، ثم بطبيعة المفهوم نفسه، وكما يحدده محمد مفتاح في كتابه: تحليل الخطاب الشعري، في أبعاد العملية التواصلية في شقيها التواصلي ثم التفاعلي :أما التواصلي فيهدف إلى توصيل معلومات ومعارف ونقل تجاربه إلى المتلقي، وأما التفاعلي فيدعم مقولة إن

الوظيفة التواصلية في اللغة ليست هي كل شيء، فهناك وظائف أخرى للخطاب اللغوي، أهمها الوظيفة التفاعلية التي تقيم علاقات اجتماعية بين أفراد المجتمع وتحافظ عليه.

تسمح مقاربة الفكر العربي المعاصر لهذه الإشكالية بالتمييز بين جانبين أساسيين في عملية المثاقفة في استقبال الآخر، وعملية استيعابه، لتستحيل المقاربة إمّا إلى التوفيق أو التلفيق. فالتوفيق مذهب يقوم على المفاعلة والتفاعل، لا يجمع من الأفكار والآراء والمفاهيم إلا ما كانت وحدته مبنيةً على أساسٍ معقولٍ، أي حضور الذات في الموضوع، في حين يقوم مفهوم التلفيق على جمع ما لا يجتمع، بنوع من القسر ما بين معانٍ وآراء مختلفة في مذهب يبدو ظاهريا كأنه واحد، في حين تظهر لمتلقيها متفقة، بسبب عدم الكشف عن التناقض المندس في بنيتها، لذلك شتان بين التوفيق والتلفيق.

وها هي مجلة فصل الخطاب لسان حال مخبر الخطاب الحجاجي تستقطب الكتابات ذات القيمة المعرفية سواء داخل الوطن أو خارجه ،إيمانا منا ووفاءً لخطها المرسوم، لأنها تؤمن بأنه ليس ثمة حدود للمعرفة، وبأن الهمّ واحد وإن تعددت أقطارنا، مع الوفاء بأن نهج المجلة لا ينزاح عن تصور الحجاج في أبعاده المعرفية والتداولية والإجرائية، على أنه ليس ثمة فصل في المعرفة فهي بنى متداخلة، يلزمنا أحيانا فقط الإجراء المنهجي قسرا إلى الفصل بين تخوم المعرفة التي غدت الحدود بينها رجراجة.

وهو ما سيلاحظه قارئ هدا العدد أو غيره من الأعداد السالفة من حضور للخطاب القرآني وكيف صار هذا الخطاب مستوعبا للدراسات في ضوء اللسانيات الحديثة، أو في ضوء الدراسات الحجاجية، أو حتى عند المفسرين والموازنة بين مختلف الرؤى والتصورات، كما هو عند النورسي أو عند الشنقيطي صاحب أضواء البيان، أو عند المفسرين عموما أو إعادة قراءة الموروث النقدي والبلاغي العربيين في ضوء المناهج الحداثية، كما هو الحال في خطاب الغزل، أو دراسة قضية نقدية بعينها كالغموض والصورة الأدبية وكيف تعامل معها النقد العربي القديم، أو إشكالية التأويل عند الأصوليين وغيرها من المقالات الجادة التي تنم عن حصاد قراءات منتجة.

وقد خصصت المجلة في عددها هذا حيزا للترجمة وهو جهد نسعى إليه ونثمنه، ونشجع المشتغلين عليه، مثلما هو مدون في متن العدد من جهد الأستاذ (محمد بسناسي) في مقاله الموسوم بـ "قواميس قديمة، قواميس حديثة تمثيل اللغة والخطاب" مما يجعلنا نتفاعل مع الآخر من خلال ثنائية الاستيعاب والتواصل، دون أن ننغلق على أنفسنا ونزعم أننا تحصنا وهو زعم واه. نأمل أن تصلنا جهود أخرى لترجمات أخرى إثراء لحياتنا المعرفية. ونحن هنا ندعو المشتغلين بالترجمة إلى أن مجلة فصل الخطاب ستكون فضاء مفتوحا لهم حيثما كانوا ودونما إقصاء. والله نسأل أن نكون مثلما يريدنا أن نكون، **والله من وراء القصد.**

الأستاذ الدكتور: أحمد بوزيان

البيان القرآني في منظور بديع الزمان سعيد النُّورسي

الدكتور: بطاهر بن عيسى

جامعة الشارقة ـ الإمارات العربية المتحدة

يعدّ بديع الزمان النُورسي- رحمه الله –أحد أبرز الدعاة والمفكّرين الأتراك في القرن العشرين، وقد كانت له جهودٌ كبيرة في تفسير القرآن الكريم، بدأها بكتابه المعروف "إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز"، ثمّ جاءت كتاباته المختلفة في "رسائل النور" والتي كان منطلقها وأساسها تفسير القرآن الكريم وبيان إعجازه، والردّ على شبهات الأعداء والمنكرين. وقد اعتمد في تفسيره "إشارات الإعجاز" على تطبيق نظرية النظم الجرجانية، مستعينًا بما يحفظ من مصادر الأقدمين، وهدف إلى الكشف عن الأساليب القرآنية وما تحمله من إشارات بيانية، ودلالات معنوية، وكان بعيدًا كل البعد عن التقليد، ميالاً إلى استخدام عقله في الاستنباط والترجيح والاستدلال. وقد تميّز تفسيره ببيان جوانب مختلفة من الإعجاز البياني والمعنوي،وذلك من خلال تلك الإشارات إلى النكت البلاغية في النظم القرآني، وإلى تلك الدلالات والحقائق الفكرية والعلمية التي أثبتها العلم الحديث. ويهدف هذا البحث إلى بيان منهجه ومقاصده، مع الإشارة إلى الإعجاز البياني، والكشف عن الجانب الذي برع فيه وهو دراسة المعنى والأسلوب

الكلمات المفتاحية: الإعجاز البياني، رسائل النور، التفسير، القرآن الكريم، النظم القرآني، النظم.

Abstract

Badi Al-Zaman Al-Nursi - may Allah have mercy upon him - was one of the most prominent Turkish preachers and thinkers in the twentieth century. He made great efforts in interpreting the Holy Quran. He began it with his well-known book “Signs of Miracles in Succinctness Sources”, then his various writings in the "Letters of Light" whose starting point was the interpretation of the Koran and the statement of its miraculous, and response to the enemies’ and deniers’ suspicions. In his interpretation of "Signs of Miracles", he relied on the application of the theory of Djirdjanian systems, with the help of ancient sources, aiming to reveal the Quranic styles the significant signs and the moral connotations they carry. He was far away from imitation, inclined to use his mind in elicitation, outweighing and inferring. His interpretation has been distinguished by the statement of different aspects of graphical and moral miracles, and that through these references to rhetorical jokes in the Koranic systems, to those connotations, the intellectual and scientific facts which were confirmed by the modern sciences. The purpose of this research is to explain its methodology and objectives, and to reveal the aspect it excelled in which is the study of meaning and style.

Keywords :Miracles, interpretation, connotation, elicitation, outweighing, inferring .

مقدمة:

يعدّ بديع الزمان سعيد النُورسي - رحمه الله – أحد أبرز الدعاة والمفكّرين الأتراك في العصر الحديث، وقد كانت له جهودٌ كبيرة في تفسير القرآن الكريم، بدأها بكتابه المعروف "إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز" الذي كتبه باللغة العربية، ثمّ توالت كتاباته المختلفة في "رسائل النور" التي كان منطلقها وأساسها تفسير القرآن الكريم وبيان إعجازه، والردّ على شبهات الأعداء والمنكرين، وكشف في تلك الرسائل عن منهجه وطريقة فهمه لإعجاز القرآن الكريم، منها: المكتوب التاسع عشر وهي رسالة المعجزات الأحمدية، ورسالة المعجزات القرآنية في الكلمة الخامسة والعشرين من كتاب الكلمات، وتعدّ رسائل النور في إطارها تفسيرًا عمليًا للقرآن الكريم.

طبق النُورسي نظرية النّظم الجرجانية في تفسيره "إشارات الإعجاز"، مستعينًا بما يحفظ من مصادر الأقدمين، وهدف إلى الكشف عن الأساليب القرآنية وما تحمله من إشارات بيانية، ودلالات معنوية، وكان منهجه قريبًا من منهج الزمخشري في تفسيره الكشّاف، ولكنّه كان ميالاً إلى استخدام عقله وذوقه في الاستنباط والترجيح والاستدلال.

وتميّز تفسيره ببيان جوانب مختلفة من الإعجاز البياني والمعنوي، وذلك من خلال تلك الإشارات إلى بعض النكت البلاغية في النظم القرآني، والإرشاد إلى تلك الدلالات والحقائق الفكرية والعلمية التي أثبتها العلم الحديث،وقد وقف الإمام النورسي وقفات متأنية مع القرآن مستلهمًا جوانب الإعجاز والكمال والجلال في أسلوبه.

ومع ما كُتب بشأن تفسير "إشارات الإعجاز" من دراسات استعنّا ببعضها في هذا البحث، ما يزال بحاجة إلى جهد مستقل لاستخراج ما فيه من آراء وانطباعات تحليلية في النصوص القرآنية، وسيكون لها فائدة كبيرة في قراءة النصّ القرآني برؤية جديدة، تضاف إلى تلك الرؤى التي سبقتها، بما يتناسب مع معطيات العصر وتطوّر المعارف والفنون والآداب.

والجديد في هذا البحث هو استجلاء الاتجاه البياني في هذا التفسير، والإشارة إلى منهجه ومقاصده، وبيان معالم الإعجاز البياني لديه، والكشف عن الجانب الذي برع فيه وهو دراسة المعنى والتناسب في الأسلوب؛حيث حاول الارتقاء بنظرية "النظم" الجرجانية من خلال النّظر إلى النصّ بكامله، وسعى إلى الربط بين جميع أجزائه، ولم يكتفِ بالبحث عن الدلالات السطحية للعبارات، بل حاول البحث في البنى العميقة واكتشاف ما تحمله من دلالات وجماليات.

(1) معالم الإعجاز القرآني عند النورسي

تحدّث بديع الزمان سعيد النُّورسي[1] عن القرآن الكريم في مواطن كثيرة من كتاباته، محاولاً إبراز خصائصه وأوجه إعجازه وصفاته المتميّزة، وهي تعريفات كان الغرض منها بيان عظمة القرآن وسموّ إعجازه، ومصدريته الإلهية، وقدرته على التأثير المستمر في البشرية، وخاصّة في ظلّ الأحداث والمشكلات الكثيرة التي واجهتها الإنسانية في العصر الحديث، ويمكن وصفه بـ"الرجل القرآني"؛ لأنّه علاوة على سعة علمه وتنوّع ثقافته، فقد كان القرآن الكريم هو محور اهتمامه الأوّل، وما سوى ذلك إنّما كان تفريعًا يدور حول القرآن الكريم [2]. وتعريفات النّورسي للقرآن كثيرة، ولعلّ التعريف الذي يتناسب مع التعريف الاصطلاحي المتداول عند علمائنا السابقين هو في قوله:"القرآن بحرُ المعجزات، والمعجزة الكبرى، يثبت النّبوة الأحمدية، والوحدانية الإلهية إثباتًا، ويقيم الحججَ ويسوق البراهينَ، ويبرز أدلةً تغني عن كلّ برهان آخر"[3]. ويشير هذا التعريف إلى أبرز الخصائص التي يتميّز بها القرآن الكريم:

1. فهو كتاب معجز؛ والمقصود بالإعجاز ما اتّصف به القرآن الكريم من البلاغة والفصاحة اللتين تحدى بهما العرب وغيرهم من الأمم في الإتيان بمثله، فكان عجزهم ظاهرًا منذ نزول القرآن إلى يوم الدين، كما تجلّت في القرآن أوجهٌ أخرى كثيرة للإعجاز؛ فهو بحر المعجزات، وكلّ ما فيه معجز.

2. القرآن الكريم هو الدليل الساطع على صدق النّبي محمدﷺ في رسالته الخاتمة؛ فهو كتاب يثبت النّبوّة المحمّدية بالأدلة والبراهين الساطعة. وبيّن النّورسي أنّ وظيفة هذه المعجزة، هي إثبات دعوى النبوة عن طريق إقناع المنكرين، وليس إرغامهم على الإيمان[4].

3. هو كتاب يثبت خصائص الوحدانية لله تعالى؛ فقد سيقت الآيات القرآنية لترسيخ هذا المبدأ العظيم في صدور النّاس أجمعين؛ فالقرآن من أوّله إلى آخره دعوة إلى التوحيد، وإنكار لكلّ مظاهر الشرك.

ويشير هذا التعريف إلى أهمّ العناصر التي سيهتمُ بها النّورسي في تفسيره، فسيكون الإعجاز البياني هو محور البحث الأول لديه، ثمّ يأتي الاهتمام بالأدلة القرآنية التي تقرّر حقائق التوحيد والرسالة المحمدية واليوم الآخر.

لقد اهتم النورسي ببيان الإعجاز القرآني في كتاباته المتنوّعة، وهو يرى أنّ القرآن الكريم بنسبته إلى الله تعالى فإنّه معجز في كلّ حرف من حروفه، وفي كلّ كلمة من كلماته؛ لأنّ كلّ كلمة تمثّل شجرة من الحقائق فهي بمثابة النّواة، وأنّ كلّ حرف من القرآن يعطينا أسرارًا كثيرة تسعُ

صفحة كاملة" [5]، والبلاغة هي سرّ الإعجاز، ولكنّها فوق طاقة البشر، ولا يمكن أن تدرك[6]، ومع ذلك يجتهد العلماء في الكشف عن بعض حقائقها وأسرارها التي لا تنفد، وقد درس النّورسي الإعجاز البياني من خلال كتابه الأول "إشارات الإعجاز"، ثمّ كتب رسالة كاملة تسمّى (رسالة المعجزات)، وهي لبيان وجوه الإعجاز المختلفة، وأكّد أنّ هذه الرسالة هي إفحامٌ لكّل معترض، وحجّة بالغة لكلّ منتقد، وإثباتٌ ساطعٌ لكلّ منكر وملحد، فيها لمعات الإعجاز، ومنابع كمال البلاغة القرآنية [7].وأمّا القدر المعجز في القرآن عنده فهو في كلّ آية؛ لأنّ كلّ آية في قمة البلاغة، وفي غاية الإعجاز الذي يشعّ نوره الساطع؛ حيث إنّها تكسبُ علوّها وسموها وقوتها لصدورها من مقام سام رفيع الذي لا نهاية لعظمته ولا منتهى لسموّه[8]. ويقرّر النُّورسي أنّ فهم كتاب الله تعالى وتلمّس إعجازه إنّما يقوم على معرفة أدوات اللغة والبيان العربي، وليس عن طريق الفلسفة وما فيها من احتمالات، ويشير في كتابه "إشارات الإعجاز" إلى أنّ إعجاز القرآن حقيقة ثابتة، وأمّا عن وجوه الإعجاز القرآني فيرى النُّورسي أنّها قد تصل إلى أكثر من أربعين وجهًا[9]. وتظهر صور الإعجاز البلاغي في القرآن من خلال خمس نقاط [10]:

1. **بلاغة النظم**: وظّف النُّورسي نظرية النّظم في تفسيره"إشارات الإعجاز"، وهي النظرية التي عرفها العلماءُ القدماءُ وقد اكتملت معالمها على يد عبد القاهر الجرجاني في كتابه "دلائل الإعجاز". وقد حاول النُّورسي البحث في أسرار التراكيب في الآيات، والنظر في دقائق التعبير في الجمل وفي اختيار الألفاظ، وفي الإشارة إلى العلاقات داخل النصّ القرآني بين الكلمات والأساليب والمعاني، ولكنّه في رسالة "الكلمات" يكتفي بشواهد محدّدة.

وأشار النُّورسي إلى الأسباب التي قد تؤدي إلى الخلل والاضطراب في الخطاب البشري، وعدم قدرته على الإبقاء على المستوى الراقي نفسه في الأداء الأسلوبي، أمّا في القرآن الكريم فإن النّظم القرآني لا يعرف إلاّ مستوى واحدًا في براعة الأسلوب تصل به إلى قمة الكمال والجمال، وقد ذكر أنّ وراء ذلك ما يقارب تسعة أسباب: "إذ إنّ القرآن المبين نزل في ثلاث وعشرين سنة نجمًا نجمًا لمواقع الحاجات نزولا متفرقًا متقطعًا، مع أنّه يُظهر من التلاؤم الكامل كأنّه نزل دفعة واحدة. وأيضًا إنّه جاء جوابًا لأسئلة مكرّرة متفاوتة، مع أنّه يظهر من الامتزاج التام والاتحاد الكامل كأنّه جواب عن سؤال واحد. وأيضًا إنه جاء لبيان أحكام حوادث متعددة متغايرة، مع أنه يبين من الانتظام الكامل كأنّه بيان لحادثة واحدة. وأيضًا إنه جاء مكلّمًا ومتوجهًا إلى أصناف متعددة متباعدة من المخاطبين، مع أنّه يظهر من سهولة البيان وجزالة النظام ووضوح الإفهام كأنّ المخاطبين صنفٌ واحدٌ؛ بحيث يظن كلُّ صنف أنَّه المخاطب وحده بالأصالة. وأيضًا إنَه نزل هاديًا وموصلاً إلى غايات إرشادية متدرجة متفاوتة، مع أنّه يبيّن من الاستقامة الكاملة والموازنة الدقيقة والانتظام الجميل كأنّ المقصد واحدٌ"[11].

2. **بلاغة المعنى**: يبيّن كتاب "إشارات الإعجاز" هذه الخاصية في كثير من الآيات، ويرى النُّورسي أنّ بلاغة المعنى تشمل الحرف والكلمة والجملة والفقرة والنصّ بكامله. والإعجاز المعنوي في القرآن الكريم هو أحد الأوجه التي عُني بها في كتاباته كلّها، وذلك لإثبات أنّ المعاني القرآنية بفضاءاتها الفسيحة، وأدلتها الواضحة سيبقى تأثيرها في كلّ زمان ومكان، وأنّ فيها الحلّ لجميع المشكلات التي تعيشها الإنسانية.

3. **بلاغة الأسلوب**: أساليب القرآن كما يرى النُّورسي عجيبة ومُقنعة، "فلم يقلد أحدًا قطُّ، ولا يستطيع أحد أن يقلّده، ولقد حافظ وما يزال يحافظ وغرابته مثلما نزل أول مرة"[12]. وفي مكان آخر يقف النُّورسي طويلاً عند إحدى الخصائص الأسلوبية للقرآن، تلك هي "جامعيته" المثيرة للدهشة، حتّى إن سورة واحدة تتضمّن بحر القرآن العظيم الذي ضمّ الكون بين جوانحه، وإنّ آية واحدة تضم خزينة تلك السورة، وإن أكثر الآيات -كلّ منها- كسورة صغيرة" [13].

4. **فصاحة اللفظ**: فكما أنّ القرآن تميّز ببلاغة معناه وأسلوبه؛ فإنّه تميّز بسلاسة لفظه، كما أنّ شهادة علماء البيان والمعاني برهانٌ باهرٌ على قوّة فصاحته، ويرى النُّورسي أنّ اللفظ "لو كرّر ألوف المرات؛ فإنه لا يُورث سأمًا ولا مللاً، بل يزيد لذةً وحلاوةً، ثم إنّه لا يثقل على ذهن صبي بسيط فيستطيع حفظه، ولا تسأم منه أذُن المصاب بداء عضال الذي يتأذى بأدنى كلام، بل يتلذّذ به وكأنه الشراب العذب"[14].وعلّل النورسي سبب تفوّق اللفظ القرآني وبلوغه أعلى درجات الفصاحة والبيان، بأنّ"القرآن قوت وغذاء للقلوب، وقوّة وغناء للعقول، وماء وضياء للأرواح، ودواء وشفاء للنفوس، لذا لا يملّ"[15].

وكما تحدث النُّورسي عن مستوى اختيار الألفاظ ، كان لا بدّ أن يتحدث عن مستوى تأليف تلك الألفاظ وتوزيعها في الجمل والعبارات، ومن هذين المستويين تشكّل ذلك "النظم" القرآني الفريد، قال: "نعم،إنّ الألفاظ القرآنية قد وضعت وضعًا بحيث إنّ لكلّ كلام، بل لكلّ كلمة، بل لكلّ حرف، بل حتّى السكون أحيانًا وجوهًا كثيرة جدّا، تمنح كلّ مخاطب حظّه ونصيبه من أبواب مختلفة"[16].

5. **براعة البيان**: بيّن النورسي أنّ المقصود ببيان القرآن هو في كونه "أعلى مرتبة من مراتب طبقات الخطاب: كالترغيب والترهيب، والمدح والذم، والإثبات والإرشاد، والإفهام والإفحام" [17].وذكر مثالاً على مقام الترغيب والتشويق سورة "الإنسان"، وعلى الترهيب والتهديد سورة "الغاشية"، وعلى المدح السور الخمس التي تستهلّ بـ"الحمد لله".

لقد غدت فكرة الإعجاز القرآني هي الفكرة المسيطرة على فكر النُّورسي، وحاول الإضافة إلى العلماء الذين سبقوه؛ ومن ذلك حديثه عن الإعجاز الحرفي، وأساليب القرآن في خواتيم

الآيات أو ما يعرف بالفاصلة القرآنية، وبيان أنّ القرآن الكريم هو المصدر الأساسي للعلم والمعرفة، وبيان وحدة القرآن البنائية [18]. كما أنّه تحدّث عن جامعية القرآن بوصفها وجهًا من وجوه الإعجاز، "ففي إحاطة اللغة وسعة المعنى، واستيعاب الأحكام، واستغراق العلم، وموازنة الغايات، جامعيته ذات الشأن" [19]. كما أشار النورسي إلى نوعٍ آخر من الإعجاز وهو خطاب القرآن لمختلف طبقات البشر؛ فقد "يرى أنّ القرآن الكريم أظهر إعجازه على وجوه مختلفة لأربعين طبقة من طبقات النّاس المختلفة، فكلّ طبقة تشعر بإعجازه بأسلوب معيّن ونمط خاص" [20].

(2) الاتجاه البياني في "إشارات الإعجاز"

كتب النورسي تفسيره "إشارات الإعجاز" في جبهة القتال ضد الروس، وقد واجه خلالها أحداثًا جسامًا، وظروفًا قاسية، كان لها تأثيرٌ كبيرٌ في صبغ هذه الكتاب بطابع خاص لا نجد له مثيلاً في مؤلفات التفسير الأخرى؛ وقد ذكر النورسي أنّ سبب اهتمام النّاس بتفسيره وكتاباته نابع من أهمية الزمان نفسه الذي ظهرت فيه، ومن شدة الهدم والعداء الذي أحدثه هذا العصر في الشريعة المحمدية [21].

اعتمد النورسي أثناء تأليفه "إشارات الإعجاز"على القرآن الكريم اعتمادًا كبيرًا، فلم يكن بين يديه أيّة مصادر أو مراجع يرجع إليها، سوى ما كان عالقًا بذهنه من محفوظات ومطالعات للكتب التي قرأها في أيام الطلب، ولئن كان النورسي قد جمع بين قوة الذكاء وسعة الحافظة؛ فإنّنا نلمح في كتاباته بعض الإشارات إلى بعض المصادر كان قد اطّلع عليها، وأفاد منها في كتابة تفسيره، منها بعض كتب التفسير، وكتب البلاغة واللغة وبعض كتب الفلسفة، وقد ذكر النورسي أسماء بعض العلماء الذين قرأ لهم وأفاد منهم في مجال اللغة والأدب والبلاغة مثل الجاحظ، وعبد القاهر الجرجاني، والزمخشري، والسّكاكي، ولكن على أهمية هذه المصادر وتنوّعها، يبقى القرآن الكريم هو المصدر الرئيس الذي أمدّ تفسيره ورسائل النور بعد ذلك بتلك القوّة والتأثير [22].

لقد أدرك النُّورسي أنّ القرآن الكريم هو كتاب الكون الكبير الذي يجد فيه الإنسان حقائق الحياة والوجود، والفطرة والتوحيد، والحشر والآخرة؛ فالقرآن عنده بمثابة عقل الأرض وفكرها الثاقب، وقصد النورسي من تفسيره "إشارات الإعجاز" بيان الإعجاز البياني للقرآن الكريم، قال في مقدّمة تفسيره: "إنَّ مقصدَنا من هذه الاشارات تفسيرُ جملة من رموز نَظْمِ القرآن؛ لأنّ الإعجاز يتجلّى من نظمه" [23]؛ وقد حاول بذلك الإسهام في هذا المجال بإعطاء نماذج تطبيقية على هذه النظرية.

واقتصر النُّورسي على تفسير سورة "الفاتحة" وثلاث وثلاثين آيةً من أول سورة "البقرة"، وهو بذلك أوّل مفسّر في القرن العشرين طبّق نظرية "النظم" بصورة مفصّلة وبَنَى عليها كلّ تفسيره [24]؛ ولكنّه أراد أن يضيف إلى الأقدمين من خلال تطويره لهذه النّظرية في جوانب معيّنة، يقول محسن عبد الحميد: "وكأنّي بالأستاذ النُّورسي درس نظرية "النّظم" هذه دراسة متقنة، ثم ظهر له أنّ المفسّرين الذين سبقوه كالزمخشري والرازي وأبي السعود لم يحاولوا تطبيقها من حيث هي منظومة متكاملة، تشمل ترتيب السور والآيات والألفاظ سورة سورة، وآية بعد آية، ولفظًا بعد لفظ بتفاصيلها الكاملة، فأراد أن يقتدي بهؤلاء المفسّرين العظام، فيؤلف تفسيرًا يطبّق فيه نظرية "النظم" تطبيقًا تفصيليًا شاملاً من حيث المباني والمعاني، ومن حيث المعارف اللغوية والعقلية والذوقية" [25].

والإعجاز النّظمي هو أساس إعجاز القرآن عنده، وقد أشــار إلى ذلك في كثير من مؤلّفاته[26]. وعرّف النّظم بقوله:"عبارة عن توخي المعاني النّحوية فيما بين الكلمات؛ أي إذابة المعاني الحرفية بين الكلم لتحصيل النقوش الغريبة، وإن أمعنت النّظر لرأيت أن المجرى الطبيعيّ للأفكار والحسّيات إنّما هو نظم المعاني، ونظم المعاني هو الذي يشيّد بقوانين المنطق، وأسلوبُ المنطق هو الذي يتسلسلُ به الفكر إلى الحقائق، والفكرُ الواصلُ إلى الحقائق هو الذي ينفذُ في دقائق الماهيات ونسبها، ونسبُ الماهيات هي الروابط للنّظام الأكمل، والنّظامُ الأكملُ هو الصَدَفُ للحُسْنِ المجرّد الذي هو منبع كل حسن... والحاصل: أنّ الكائنات في غاية البلاغة قد أنشأها وأنشدها صانعُها فصيحةً بليغة، فكل صورة وكل نوع منها - بالنظام المندمج فيه - معجزة من معجزات القدرة؛ فالكلام إذا حذا حذو الواقع، وطابق نظمُه نظامَه حاز الجزالة بحذافيرها، وإلاّ فإنْ توجَّه إلى نظم اللفظ، وقعَ في التصّنُّع والرياء، كأنَّه يقع في أرض يابسة وسراب خادع" [27].

وفي كلام النُّورسي إشارة واضحة إلى خاصية "النظام" الذي يتميّز به التعبير القرآني، وهو يذكرنا بما كتبه عبد القاهر الجرجاني عن "النظم"، وتأكيده أنّ اللغة المعجزة هي لغة منظّمة، ولكنّ النُّورسي حاول الارتقاء بهذه النظرية، بأن يضيف إليها في الجانب الذي يمكن تسميته بالنظم المعنوي.

(3) منهج النُّورسي في دراسة النَّظم القرآني

يبدأ النورسي غالبًا بتفسير الآيات الكريمة بمقدّمة مختصرة للدخول في جوّ الآية، ثمّ يشرح فيها "النّظم" على ثلاث مراتب على النحو الآتي [28]:

1. نظم الآية مع الإشارة إلى سوابقها ولواحقها، وعلاقتها بمجموع القرآن.

2. نظم الجمل، وعلاقة بعضها مع بعض من جهة تناسب المعاني.

3. نظم هيئات كلّ جملة، والحديث عن فصاحة المفردات، وتناسبها مع بقية الكلمات.

ولنأخذ مثالاً واحدًا من تفسيره لتوضيح منهجه، واقتضى المقام اختصار الكثير من كلامه، قال تعالى: [**وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ أنَّ لَهُمْ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنْهَارُ كُلَّما رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً قَالُوا هَذاَ الَّذِي رُزِقْنا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشابِهاً وَلَهُمْ فِيها أزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيها خالِدُونَ**] (البقرة:25).

قال النورسي [29]: "فاعلم! أنّ نظم هذه الآية كأخواتها بثلاثة وجوه: نظم المجموع بما قبله، والجمل بعضها مع بعض، والهيئات.

أمّا الأول: فاعلم! أنَّ لمآلها ارتباطات متفاوتة مع الآيات السابقة، وخطوطًا ممتدة بالاختلاف إلى الجمل السالفة؛ ألا تَرَى أنّ القرآن الكريم لما أثنى في رأس السورة على نفسه وعلى المؤمنين بالإيمان والعمل الصالح، كيف أشار بهذه الآية إلى نتيجة الإيمان وثمرة العمل الصالح.. وكذا لما ذمّ الكفار، وشنّع على المنافقين، وبيّن طريقهم المنجرّ إلى الشقاوة الأبدية، لوّح بهذه الآية إلى نور السعادة الأبدية، فأراهم ليزيدُوا حسرةً على حسرةٍ بفوات هذه النعمة العظمى.. ثمّ لمّا كلّف بـ(يا أيّها النّاسُ اعبدُوا) - مع أنّ في التكليف مشقةً وكلفةً وتركَ اللذائذ العاجلة - فتح لهم أبواب الآجلة؛ فأراهم بهذه الآية تطمينًا لنفوسهم وتأمينًا لهم".

ثم انتقل إلى نظم الجمل بعضها مع بعض فيقول: "أمّا نظم جملها بعض مع بعض، فاعلم! أنّ السلك الذي نظم فيه جواهر جمل هذه الآية وسلسلتها هي: أنّ السعادة الأبدية قسمان:

الأولُ الأَوْلَى: رضاء الله تعالى وتلطيفه وتجليه وقُربيته.

والثاني: السعادة الجسمانية؛ وهي بالمسكن والمأكل والمنكح، ومُتمّمها ومُكمّلها جميعًا هو الدوام والخلود، ثمّ إن أقسام الأوّل مستغنية عن التفصيل أو غير قابلة.

وأمّا أقسام الثاني: فالمسكن، ألطفُه ما يجري الماء بين نباتاته؛ ألا تَرَى أن مُلْهِمَ الشعر ومُفيض العشق في القلوب إنّما هو خشخشةُ الماء وخريره، وكشكشةُ الأنهار وصفيرُها تحت القصور وبين البساتين. والمأكل: الرزق، ولأنّه قوتٌ يكون كمال لذته فيما حصل به الألفة والأُنسية؛ ولأنّه تفكّهٌ يكون كمالُ لذّته في التجدّد من جهة؛ إذ بحُكم المألوفية يُعرفُ درجةُ علوّ النّعمة وتفوّقها على نظيرها. وكذا من مكمّلات اللذة أن يعرف أنّه جزاء عمله. ومنها أن يكون منبعُهُ ومخزنُهُ حاضرًا نصب العين لتحصل لذّة الاطمئنان.وأمّا المنكح، فاعلم! أنَّ من أشدِّ

حاجات الإنسان وجود قلب مقابلاً لقلبه لمداولة المحبّة، ومبادلة العشق والمؤانسة والتشارك في اللذة، بل التعاون في أمثال الحيرة والتفكّر".

ثم يقول شارحًا الروابط والتناسب بين الآيات:" أما جملة (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ) فاعلم! أنّه تعالى لما كلَّف النّاس، وأثبتَ النّبوة، وكلَّف النّبيَّ بالتبليغ، أمره بالتبشير تأمينًا لامتثال التكليف الذي فيه مشقّةٌ وتركٌ للذائذ الدنيوية؛ فكما أنّه مأمورٌ بالإنذار، كذلك مأمورٌ بالتبشير برضاء الله تعالى وتلطيفه وقربيته وبالسعادة الأبدية".

وأمّا عن نظم هيئات كلِّ جملة على حدة، فيقول: "فجملة (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ) الواو فيها - بسرّ المناسبة بين المتعاطفين - إشارة إلى "أنذر" الذي يتقطّر من أنف السابقة. وأما "بشِّر" فرمزٌ إلى أنّ الجنّةَ بفضله تعالى لا واجب عليه. وكذا إلى أن لا بدَّ أن لا يكون العملُ لأجل الجنة. وأمّا صورة الأمر في "بشِّر" فإيماء إلى "بلّغ مبشّرًا" فإنّه مكلّفٌ بالتبليغ.

وأمّا (الَّذِينَ آمَنُوا) بدل "المؤمنين" الأقصر؛ فتلويح إلى "الذين" الذي مرَّ في رأس السورة ليكون تفصيله هناك مبينًا لما أجمل هنا. وأما إيراد "آمَنُوا وَعَمِلُوا" على صيغة الماضي هنا، مع إيراد "يؤمنون" و"ينفقون" هناك بصيغة المضارع؛ فللإشارة إلى أن مقام المدح والتشويق على الخدمة شأنه المضارع، وأما مقام المكافأة والجزاء فالمناسب الماضي؛إذ الأجرة بعد الخدمة.

وأمّا جملة (أنَّ لَهُمْ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنْهَارُ) فاعلم! أن هيئاتها - من تحقيق "أنّ" وتخصيص "اللام"، وتقديم "لهم"، وجمع "الجنة" وتنكيرها، وذكر الجريان، وذكر "مِنْ" مع "تَحْتَ"، وتخصيص "نهر" وتعريفه - تتعاون وتتجاوب على إمداد الغرض الأساسي الذي هو السرور ولذّة المكافأة، كالأرض النَشِفَة الرطبة، ترشح بجوانبها الحوض المركزي؛ لأنّ (أنّ) إشارة إلى أنّ البشارة بما هو في هذه الدرجة من العظمة يتردّد فيها العقل فتحتاج الى التأكيد.. ولام (لهم) إشارة الى الاختصاص والتملّك والاستحقاق الفضلي لتكميل اللذة وزيادة السرور.. وتقديم (لهم) إشارة الى اختصاصهم بين النّاس بالجنّة؛إذ ملاحظة حال أهل النّار سبب لظهور قيمة لذّة الجنّة. وجمع (جنات) إشارة الى تعدّد الجنان وتنوّع مراتبها على نسبة تنوّع مراتب الأعمال، وتنكير (جنّات) يتلو على ذهن السامع: "فيها ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطرَ على قلب بشر". وأمّا (تجري) فاعلم! أنَّ أحسنَ الرياض ما فيها ماء؛ ثمّ أحسنها ما يسيلُ ماؤها، ثمّ أحسنها ما استمر السيلان؛ فبلفظ (تجري) أشار إلى تصوير دوام الجريان. وأمّا (من تحتها) فاعلم! أنّ أحسنَ الماء الجاري في الخضراوات أنْ ينبع صافيًا من تلك الروضة، ويمرّ متخرخرا تحت قصورها، ويسيل منتشرًا بين أشجارها فأشار بـ (من تحتها) إلى هذه الثلاثة. وأمّا (الأنهار) فاعلم! أنَّ أحسنَ الماء الجاري في الجنان أن يكون كثيرًا، ثمَّ أحسنُهُ أنْ تتلاحقَ الأمثالُ من

جداوله، فإنَّ بتناظر الأمثال يتزايد الحسنُ على قيمة الأجزاء، ثمّ أحسنُهُ أن يكون الماء عذبًا فراتًا لذيذًا كما قال (ماء غير آسن)، فبلفظ "نهر" وجمعه وتعريفه أشار الى هذه.

وتفسير النُّورسي بهذا المنهج شبيه إلى حدٍّ كبير بتفسير "الكشّاف" للزمخشري؛ فهو يلتقي معه في جوانب كثيرة، منها الاعتماد على تفسير الآية بالاستناد إلى أدوات البلاغة، ولا سيما علم المعاني الذي يظهر أسرار "النّظم" وجماليات التركيب، ويلاحظ أيضًا الاقتصاد في الشَّرح، وعدم التوسّع في الدلالات، واعتماد أسلوب (الفنقلة) في بعض المواطن، وهو أسلوبٌ عُرف به الزمخشري حين يريد الكشف عن نكتة أو مسألة، فيسأل بلسان القارئ (فإن قلت كذا..)، ثمّ يجيب بـ(قلت...).، كما اعتمد النورسي على كثرة التقسيمات للمسائل، وهي طريقة الزمخشري وغيره من علماء الكلام.

واستند النُّورسي كثيرًا إلى أساليب البلاغة للكشف عن المعنى، وخاصّة أساليب الطلب كالاستفهام والنّداء والأمر والنهي، وأساليب التقديم والتأخير، والتعريف والتنكير، والحذف والذكر، واهتم كثيرًا بتجلية الإيجاز في العبارة القرآنية، وهو يرى أنّ الإيجاز هو منشأ الإعجاز[30]؛ وهذا الإيجاز المعجز هو الذي يستطيع كلُّ إنسان أن يأخذ منه حاجته[31]، كما اعتنى النورسي ببعض أساليب الإطناب وخاصّة التكرار، وانتهى إلى أنّ التكرار من وجوه الإعجاز القرآني.

كما استند النورسي إلى بعض أساليب علم البيان في بيان المراد من الآية، مثل التشبيه، والاستعارة، والمجاز، والكناية، والملاحظ أنّه توسّع في باب الكناية فاعتمد عليها كثيرًا في استنباط بعض الدلالات، واستخدم بعض مصطلحات الكناية الجلية والخفية مثل: الإشارة، والإيماء، والتلويح، والرمز، ولا شكّ أنّ هذا الأسلوب قد أمدّه بكثير من أدوات التأويل، ومكّنه من قراءة النصّ القرآني والبحث في بنيته العميقة، وهو الأمر الذي ميّز تفسيره عن تفسير الزمخشري، فضلاً عن بقية التفاسير.

والنّظرة الكلية للنصّ القرآني جعلت النُّورسي يهتم بالتناسب بين الآيات، وهذا – في تقديري – هو الذي ميّز هذا التفسير عن بقية التفاسير، فقد قال:" اعلم! أنّ الكلام إنّما يكون ذا قوّة وقدرة إذا كان أجزاؤه مصداقًا لما قيل:

عِبَاراتُنا شَتَّى وَحسْنُكَ وَاحِدٌ * وَكُلٌّ إلى ذَاكَ الْجَمَالِ يُشيرُ**

بأن تتجاوبَ قيوداتُ الكلام ونظمُهُ وهيئتُهُ، ويأخذ كلٌّ بيد الآخر ويظاهره، ويمدُّ كلٌّ بقَدَرِهِ الغرضَ الكليّ مع ثمراته الخصوصية، كأنَّ الغرض المشترك حوضٌ يتشرّبُ من جوانبه

الرطبة، فيتولّد من هذه المجاوبة المعاونةُ، ومنها الانتظامُ، ومنه التناسبُ، ومنه الحسنُ والجمالُ الذاتي، وهذا السّرُّ من البلاغة يتلألأُ من مجموع القرآن"[32].

فأساس الجمال في القرآن هو في التحام أجزائه، وترابط عباراته، ومواءمة ألفاظه لمعانيه، وتناسب جميع عناصره، وهذا واقع في جميع آي القرآن الكريم، وقد قال في سياق تفسيره لسورة الفاتحة :"اعلم أنّ نظم دُرَر القرآن ليس بخيطٍ واحدٍ، بل "النَّظم" – في كثير – نقوشٌ تحصلُ من نسج خطوط نِسَبٍ متفاوتة قرباً وبعداً، ظهوراً وخفاءً؛ لأنَّ أساس الإعجاز بعد الإيجاز هذا النقشُ، مثلاً:(صِراط الذين أنعَمْتَ عليهم) يناسب (الحمدُ لله) لأنّ النعمة قرينة الحمد.. و(ربّ العالمين)؛ لأنّ كمال التربية بترادف النعم... و(الرَّحمن الرحيم)؛ لأنّ المُنْعَمَ عليهم – أعني الأنبياء والشهداء والصالحين – رحمةٌ للعالمين، ومثال ظاهر للرحمة.. و(مالِكِ يَوم الدِّين)؛ لأنّ الدين هو النعمة الكاملة.. و(نَعْبُدُ)؛ لأنّهم الأئمة.. و(نَستَعينُ)؛ لأنّهم الموفّقون.. و(اهدِنا)؛ لأنّهم الأسوة بسرّ (أولَئِكَ الذين هَدَى اللهُ فبِهُدَاهُمُ اقْتَدهْ) (سورة الأنعام:90)، و(الصراط المُستقيم)؛ لظهور انحصار الطريق المستقيم في مسلكهم، هذا مثال لك فقس عليه"[33].

(4) ملحوظات على منهج النورسي

يتبيّن ممّا سبق أنَّ النُّورسي متأثّرٌ بمنهج الإمام عبد القاهر الجرجاني في دراسة"النّظم" القرآني، وبه ينكشف إعجاز القرآن الكريم، غير أنّ النورسي لم يكتفِ بترديد ما ذكره العلماء السابقون، بل حاول الارتقاء بنظرية "النّظم" خطوات إلى الأمام، فلم يقتصر على تفسير الجملة الواحدة، وبيان ما فيها من أسرار النظم كما فعل عبد القاهر والزمخشري، بل تعامل مع النصّ بكامله، وحاول البحث في العلاقات الداخلية بين المعاني، وهو ما يسمّى بنظم المعاني، وقد سمّاه حازم القرطاجنّي "الأسلوب"، حين ذكر أنّ "الأسلوب هيئة تحصلُ عن التأليفات المعنوية، وإنّ النَّظم هيئة تحصل عن التأليفات اللفظية، وإنّ الأسلوب في المعاني بإزاء "النّظم" في الألفاظ" [34]،وذكر أنّ من شروط الأسلوب: الاطّراد، والتناسب، وحسن الانتقال من موضوع إلى آخر؛ لأنّ الأسلوب يتعلّق بمستوى النَّصّ في كافة جزئياته وبالذات في عالمه الداخلي.

وهذه الرؤية الكلية أعطت بعدًا جديدًا لنظرية "النّظم"؛ فكأنّ الإمام النُّورسي قد جمع بين عدّة أنواع من "النّظم" في تفسيره، وهي:

(1) **نظم النصّ**: وهو ينطلق من فكرة أنّ النصّ بأجزائه كلّه يمثّل وحدة في الموضوع والوظائف والأهداف، ومن هنا نجده قد اهتم بالبحث في العلاقات بين أجزاء النصّ كلّها،

ومحاولة إيجاد الترابط بين جميع مكونات النصّ، وهو أمر تؤكّده الدراسات النّصية والأسلوبية الحديثة، ويبدو أنّ النُّورسي قد اطّلع على بعضها، وحاول الإفادة منها في تفسير القرآن الكريم.

(2) **نظم المعاني**: اهتم النورسي بدراسة المعنى، وهو يرى أنّ الإعجاز المعنوي هو أحد أوجه الإعجاز في القرآن، وهو ينطلق في فهمه للمعنى من خلال أدوات اللغة العربية، ودلالات الأساليب وفنون القول كما هو متعارفٌ عليه في قواعد اللغة وأسرارها البيانية، ولكنّ النورسي يعتمد في كثير من الأحيان على ذوقه الشخصي في الكشف عن الدلالة المعنوية للآية الكريمة، فيقول مثلاً: إنّ الآية تشير أو تومئ أو تلمح إلى كذا، وهي إشارات تبحث في المعاني العميقة للألفاظ والعبارات، ولكنّها تبقى ضمن ما تحتمله اللغة، ولا تغوص في متاهات من الدلالات والشطحات التي تخرج التفسير عن دائرة التفسير المقبول شرعًا ولغةً وعقلاً، كما هو الحال في بعض تفاسير الغلاة من المتصوّفة وأصحاب العقائد الفاسدة، ويبدو أنّ النُّورسي سمّى كتابه "إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز"؛ للدلالة على اهتمامه بأمرين مهمين: المعنى، والإعجاز.

(3) **نظم الألفاظ**: ينظر النُّورسي إلى اللفظ القرآني بوصفه أحد وجوه الإعجاز أيضًا، ومع أنّه يعلم أنّ اللفظ لوحده معزولاً عن سياقه لا يتحقَّق فيه شرط البلاغة، ولذلك عمد إلى تأكيد نظرية "النّظم"، المعتمدة أساسًا على أمرين: اختيار الألفاظ، ثمّ تأليفها وتوزيعها في تراكيب دقيقة يقتضيها المقام والسياق. وانطلاقا من هذا الأساس اهتم النُّورسي بمسألة اختيار اللفظ، وبحث في سرّ ذلك الاختيار ومواءمته للسياق الذي ورد فيه، ثمّ بحث في تركيب اللفظ وتوزيعه داخل الجملة، وبحث في علاقاته مع غيره، وجمالية التعبير التي تحقّقت بوجوده، سواء من حيث مخارج الحروف، وبنية الألفاظ، وتناسبها مع غيرها، وكلّ لفظ في القرآن يشير عنده إلى معنًى عظيم، وهذا الأمر وصل به إلى الإقرار بإعجاز اللفظ القرآني.

إنّ قارئ تفسير النُّورسي يكتشف في بداية قراءته وفي نهايتها أنّ النُّورسي قد اتّجه إلى الآيات القرآنية اتجاهًا بيانيًا وروحيًا، وتعامل معها تعاملاً ذوقيًا، وهو ما يجعل القارئ يصنّف هذا التفسير في بعض جوانبه ضمن التفسير الإشاري[35]، وهو تأويل القرآن الكريم على خلاف ما يظهر منها بمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك، والشرط في قبوله أن يكون مرتبطًا بمدلول اللفظ العربي، وله شاهد شرعي صحيح [36]. وقد أشار النورسي إلى ذلك في رسائل النور فقال:"إن تحت المعنى الصريح للآية الكريمة طبقات متعدّدة من المعاني، إحدى هذه الطبقات هي المعنى الإشاري والرمزي" [37].ولكن "إشارية النورسي في تفسيره لم تنحرف به عن القواعد والضوابط التي اصطلح عليها العلماء كي يكون تفسيرًا مقبولا" [38]، وقد قرّر ذلك بقوله: "إن جميع الوجوه والمعاني التي هي صحيحة حسب علوم العربية، وصائبة وفق أصول الدين،

ومقبولة في فن المعاني، ولائقة في علم البيان، ومستحسنة في علم البلاغة، هي من معاني القرآن الكريم، بإجماع المجتهدين والمفسّرين وعلماء أصول الدين وأصول الفقه، وبشهادة اختلاف وجهات نظرهم، وقد وضع القرآن الكريم أماراتٍ على كلٍّ من تلك المعاني حسب درجاتها" [39].

فالنُّورسي ملتزمٌ بقواعد اللغة العربية؛ ولكنّه وللأسباب والظروف الاستثنائية التي كتب فيها هذا التفسير، فقد كان لزامًا عليه الاتجاه هذا التوجّه والبحث في البنية العميقة للنصوص القرآنية، بما يتوافق مع النقل والعقل، وهو ما ميّز هذا التفسير عن بقية التفاسير التقليدية، يقول عشراتي سليمان: "حفل كتاب "إشارات الإعجاز" بالمواطن الكثيرة التي استطرد فيها النورسي متقصيًا الظاهرة الجمالية كما جسّدها فنّ القول الرفيع، إذ تساوقت في هذا الكتاب المواقف التطبيقية؛ حيث أبدى النورسي رهافةً غير عادية وفهمًا لم يحتذِ فيه أحدًا، وهو يقرأ الشواهد القرآنية بحسّه التمييزي، معربًا عن قدرة تفتيقية كبيرة في مجال تعميق الرؤية واستجلاء مساحات من جمالية الخطاب القرآني" [40].

وقد حاول النُّورسي مخالفة قدامى البلاغيين حين ربطوا البلاغة بمبدأ المقام ومقتضى الحال فقط، وبيّن أنّ قوّة الكلام وبلاغته وحسنه وجماله ترجع إلى أربعة عناصر هي: المتكلّم "مَنْ قال"، والمخاطَب "لِمَنْ قال"، والمقصد "لِمَ قال"، والمقام "فيمَ قال"، وبيّن أنّ هذه العناصر مجتمعة هي السبب في علوّ الكلام وليس في مراعاة المقام فقط [41].وأكّد أنّ القرآن الكريم نظام لغوي فريدٌ لا يمكن أن يقاس بأي كلام آخر، وبإنعام النّظر في هذه العناصر الأربعة تدرك بلاغته وحسنها وسموّها وعلوّها" [42].وقد علّق عماد الدين خليل على هذا الرأي بقوله:"إنّ النورسي يتحرّك ههنا باتجاه مضاد للبنيوية التي تتمركز عند النصّ، وتسعى إلى فكّ الارتباط بينه وبين طرفيه الآخرين: المبدع والمتلقي، وبقدر ما قدمت البنيوية من خدمة للجهد النقدي في مقاربة النصّ والحكم عليه من خلال بنيته الداخلية، بقدر ما ضيّعت على نفسها فرصة التقويم الأكثر موضوعية ودقّة من خلال متابعة الأطراف الأخرى للمُعطى الأدبي ... ومهما يكن من أمر فإنّ النُّورسي - وهو يتعامل مع النصّ القرآني - يردُّنا إلى الحقّ، ويقفُ بعض الوقت عند الحدّ الأساسي للمعادلة الإبداعية كلّها: المنشئ، أو المبدع، أو المتكلّم، ويرى أنّ الكلام يستمدّ القوّة من المتكلّم" [43].

لقد تميّز تفسير النُّورسي "إشارات الإعجاز" ببيان جوانب مختلفة من الإعجاز البياني والمعنوي، وذلك من خلال بعض الإشارات إلى النكت البلاغية في النَّظم القرآني، وإلى تلك

الدلالات والحقائق الفكرية والعلمية التي استنبطها المؤلف، وقد كان الهدف من تلك النظرات البيانية الكشف عن جوانب من الإعجاز القرآني في أسلوبه ومعانيه ونظامه البديع المعجز.

خاتمة:

(1)عُني النُّورسي بتطبيق نظرية النظم تطبيقًا عمليًا كما فعل الزمخشري من قبلُ، وحاول الاستناد إليها في فهم الآيات القرآنية، ولكنّه حاول الارتقاء بتلك النّظرية من خلال النّظر إلى النصّ بكامله، ومحاولة الربط بين جميع أجزائه، ولم يكتفِ بالبحث عن الدلالات السطحية للعبارات، بل حاول البحث في البنى العميقة واكتشاف ما تحمله من دلالات تدلّ على عظمة القرآن وإعجازه.

(2) قارئ تفسير النُّورسي (إشارات الإعجاز) يكتشف عند قراءته أنّ المؤلف اتّجه إلى الآيات القرآنية اتجاهًا بيانيًا روحيًا، وتعامل معها تعاملاً ذوقيًا، وهو ما يجعل القارئ يصنّف هذا التفسير في بعض جوانبه ضمن التفسير الإشاري، وقد كان لزامًا عليه الاتجاه هذا التوجّه والبحث في البنية العميقة للنصوص القرآنية بسبب الظروف الاستثنائية التي كتب فيها التفسير، ولكنّه التزم بقواعد اللغة العربية، وبما يتوافق مع النقل والعقل.

(3) استند النُّورسي كثيرًا إلى أساليب البلاغة للكشف عن المعنى، وخاصّة أساليب الطلب، وأساليب التقديم والتأخير، والتعريف والتنكير، والحذف والذكر، واهتم كثيرًا بتجلية الإيجاز في العبارة القرآنية، كما اعتنى النورسي ببعض أساليب الإطناب، واستند إلى بعض أساليب علم البيان في بيان المراد من الآية، مثل التشبيه، والاستعارة، والمجاز، والكناية، والملاحظ أنّه توسّع في باب الكناية فاعتمد عليها كثيرًا في استنباط بعض الدلالات، وهذا الأسلوب قد أمدّه بكثير من أدوات التأويل، ومكّنه من قراءة النصّ القرآني والبحث في بنيته العميقة.

(4) حاول النُّورسي وهو يتحدّث عن أساليب القرآن الكريم الاعتماد على مصطلحات البلاغيين كالنظم والمعنى والأسلوب واللفظ والبيان والتكرار...الخ، ولم يقصد بدراسته تلك سوى الإشارة إلى إعجازه البياني، وتأكيد عظمته ومصدريته الإلهية، وإعجازه الذي شمل كلّ شيء فيه، وكان قصده من ذلك تمكين النّاس من الرجوع إلى هدايته، وإقناع مخالفيه بصلاحيته المطلقة في حلّ مشكلات الإنسان في العصر الحديث.

مراجع البحث وإحالاته:

1 انظر ترجمته بالتفصيل في : بديع الزمان النورسي نظرة عامة عن حياته وآثاره لإحسان قاسم الصالحي.
وله ترجمة موسّعة في موقع "النّور" لمؤسسة إستانبول للثقافة والعلوم: www.nuronline.com
2النورسي أديب الإنسانية، حسن الأمراني، ص124.
3المكتوبات، النورسي، ص266.
4نفسه، ص272.
5الكلمات، النورسي، 515، 516.
6الشعاعات، النورسي، ص175.
7الكلمات، النورسي، ص420.
8المكتوبات، النورسي، ص508.
9المثنوي العربي، ص156.
10نفسه، ص426-451.
11 الكلمات، النورسي، ص481، 482.
12نفسه، ص431.
13نفسه، ص459، 460.
14نفسه، ص436.
15نفسه، ص437.
16نفسه، ص452.
17نفسه، ص439.
18منهج النورسي في بيان إعجاز القرآن الكريم، زياد الدغامين، ص288.
19 الكلمات، النورسي، ص882.
20 المكتوبات، النورسي، ص238، 242.
21 النورسي، النورسي، الملاحق، ص223
22 الكلمات، النورسي، ص173.
23 إشارات الإعجاز، النورسي، ص22.
24 الإمام النورسي ووجوه الإعجاز عنده، عبد الله الخطيب، ص314.
25 مقدمة "إشارات الإعجاز"، ترجمة الصالحي، ص7.
26 إشارات الإعجاز، النورسي، ص113، والكلمات، النورسي، ص531.
27 إشارات الإعجاز، النورسي، ص115، 116.
28الإمام النورسي ووجوه الإعجاز القرآني عنده، عبد الله الخطيب، ص316.
29إشارات الإعجاز، النورسي، ص191.
30 إشارات الإعجاز، النورسي، ص56.

31 الكلمات، النورسي، ص459.

32 إشارات الإعجاز، النورسي، ص119.

33نفسه، ص31، 32.

34 منهاج البلغاء، حازم القرطاجنّي، ص363.

35 التفسير في رسائل النور، حسين أبو بكر بكير، ص419.

36التفسير والمفسرون، حسين الذهبي، ج2 ص381-388،

37الملاحق، النورسي، ص179، 180.

38التفسير في رسائل النور، حسين أبو بكر بكير، ص420.

39الكلمات، النورسي، ص456.

40جمالية التشكيل الفني في رسائل النور، عشراتي سليمان، ص261.

41ذو الفقار، النورسي، ترجمة الملازكردي، ص99.

42الكلمات، النورسي، ص500.

43النورسي والبعد الجمالي في أسلوبيات القرآن الكريم، عماد الدين خليل، ص355.